نماذج
من
العفاف

تأليف
مالك مسعد الفرح

٢٠٢٦م

www.alukah.net
www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- عمر بن عبد العزيز

ملك المشرق والمغرب، سليل المجد والشرف، عنوان الزهد، وأصل العفاف، قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك: «ما أعلم أنه اغتسل من جنابة ولا من احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه»(١).

إنما كلمات مدوية تهتز لها دور الأثرياء، كلمات تدك معاقل الخنا والفجور معلنة عفاف المتقين الذين سكن الإيمان قلوبهم وطهر القرآن جوارحهم ولو سكنوا القصور المنيفة التي تحفها الحور الحسان، لأنهم قرؤوا سورة الرحمن وعشقوا ما أعد الله لهم في الجنان فزهدوا عن شهوات الدنيا فتركوها راغبين عنها ولرحمة ربهم راجين.

عمر بن عبد العزيز خيّر زوجته الغالية بنت الملوك بين البقاء معه كأيم لا زوج لها أو الفراق، فرضيت البقاء معه لتشاركه همومه وآلامه التي لازمته يقظة ومناماً، فلم يعرف التلذذ بشهوة الفرج حتى في المنام قال سهل بن صدقة: لما استخلف عمر سمع في منزله بكاءً، فسألوا عن ذلك فقالوا: إن عمر خيّر جواريه فقال: قد نزل بي أمر قد شغلني عنكم فمن أحب أعتقه أعتقته، ومن أحب أن أمسكه أمسكته وإن لم يكن مني إليها حاجة، فبكين إياساً منه. قالت فاطمة – امرأته – كان إذا دخل البيت ألقى نفسه في مسجده فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع»(٢).

شغلته مصالح العباد والبلاد، وتذكر يوم المعاد، فلله دره من حاكم جاد، طلق الدنيا وقد جمعها وقاد، وملك الذهب والفضة فاستوت عنده بالرماد، وجافى بين جنبه والوساد، وجفا جفنه بالسواد الرقاد،(قال مالك بن دينار: يقولون مالك زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فتركها). فيا أخي الحبيب هذا حال من ملك الدنيا ترك الحلال والحرام وعفَّ فرجه أليس من العار والشنار أن يزني ويفجر من هم الطعام والشراب يؤرقه ويؤذيه !

٢- اغلب هواك

دخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب بن المهلب بالأهواز، وعند سليمان جارية يقال لها البدر، من أحسن الجواري وجهاً وأكمله. فقال سليمان لخلف: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأت عيناي جارية قط أحسن منها. فقال: خذ بيدها. فقال خلف: ما كنت لأفعل، ولا أسلبها الأمير وقد عرفت عجبه بها. فقال: خذها ويحك على عجبي بها، ليعلم هواي أني غالب. فأخذ بيدها

(١) تاريخ الخلفاء ١/ ٢٠١، البداية والنهاية ٩/ ٢٠٢.

(٢) تاريخ الخلفاء نفس الصفحة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخرج[1].

هكذا فليكن الأمير غالباً لهواه لا مغلوباً، حاكماً لشهواته لا محكوماً، أميراً على نزواته لا مأموراً، ملكاً على أحاسيسه لا مملوكاً، حينها تقتدي به أمته، لأنه كالرأس والأمة كالجسد. وصدق الله تعالى: إذ يقول:

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[2].

فائدة:

كانت همة الوليد في البناء، وكان الناس كذلك، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول: ماذا بنيت؟ ماذا عمرت؟

وكانت همة أخيه سليمان في النساء، وكان الناس كذلك يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول: كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟

وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن وفي الصلاة والعبادة وكان الناس كذلك، يلقى الرجلُ الرجلَ فيقول: كم وردك ؟ كم تقرأ ؟ ماذا صليت البارحة؟[3]

وأحسن الإمام العارف ابن المبارك إذ يقول:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... ويورثها الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها [4]

---

(١) ذم الهوى ١/ ٢٦.

(٢) سورة الإسراء رقم: ١٦.

(٣) البداية والنهاية٩/ ١٦٥

(٤) التذكرة للقرطبي ١/ ٥٢٦ باب أمور تكون بين يدي الساعة.

البداية والنهاية ١٠/ ١٤١ إبراهيم بن أدهم، إغاثة اللهفان ١/ ٣٤٦، إعلام الموقعين ١/ ١٠، الجواب الكافي ١/ ٣٩ مدارج السالكين ٣/ ٢٦٤، الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٦/ ٢٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- أصحُّ الناس عزماً

قيل ليحيى بن معاذ: من أصح الناس عزماً؟ قال: الغالب لهواه[١].

وعن منصور بن عمار قال: قال سليمان بن داود[٢]: الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده[٣]. ومن اتبع الهوى هوى قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ ﴾[٤].وقال عن المجرمين المشركين: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾[٥]. وقال: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ﴾[٦].

٤- أحسن الصبر

قيل لبطليموس: ما أحسن أن يصبر الإنسان عما يشتهي. فقال: أحسن منه أن لا يشتهي إلَّا ما ينبغي[٧].

---

(١) ذم الهوى ١/ ٢٦.

(٢) أحد التابعين.

(٣) ذم الهوى ١/ ٢١.

(٤) سورة النازعات رقم: ٤٠-٤١.

(٥) سورة الجاثية رقم: ٢٣.

(٦) سورة النجم رقم: ٢٣.

(٧) محاضرات الأدباء ١/ ٤٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- لذة قصيرة وقبح طويل

قال بعض الحكماء: إن اللذة مشوبة بالقبح، ففكروا في انقطاع اللذة وبقاء ذكر القبح[١].

٦- عثمان رضي الله عنه في الجاهلية والإسلام

عن أمامة بن سهل قال كنا مع عثمان رضي الله عنه وهو محصور في الدار، وكان في الدار مدخل مَنْ دخله سمع كلام من على البلاط. فدخله عثمان فخرج إلينا وهو متغير لونه فقال: إنهم ليتواعدونني بالقتل آنفاً. قال: قلنا يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين. قال عثمان: ولم يقتلونني؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل دم امرئ مسلم إلَّا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس. فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا أحببت أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا قتلت نفساً. فبم يقتلونني؟». رواه أبو داود وغيره[٢].

٧- زوجة عثمان (رضي الله عنه)

روي أن نائلة بنت الفرافصة – زوجة عثمان رضي الله عنه– وكانت صغيرة السن وتزوجها عثمان رضي الله عنه وهو مسن وهي من آخر زوجاته، وكانت جميلة مليحة الثغر ولما قتل عثمان رضي الله عنه كسرت ثناياها بحجر وقالت: والله لا يجتليكن أحدٌ بعد عثمان. فلما قدمت على معاوية الشام خطبها فأبت[٣].

٨- ماءٌ وظمأ

عن عبد الله بن المبارك قال: عشق هارون الرشيد جارية فأرادها. فذكرت أن أباه كان مسها، فأشغف بها هارون حتى قال:

أرى مـــاءً وبي عطـــش شـــديد ولكـــن لا ســـبيل إلى الـــورود

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١/ ٣٠٣. العقة.

(٢) أبو داود ٢/ ٥٧٧ رقم ٤٥٠٢، الترمذي ٤/ ٤٦٠ رقم ٢١٥٨، النسائي ٧/ ٩١/ ٤٠١٩.

(٣) تاريخ الإسلام ١/ ٤٥٤ سنة ٣٥هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب
شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمـــا يكفيـــك أنـــك تملكيـــني وأن النـــاس كلهـــمُ عبيـــدي

وأنـــك لـــو قطعـــت يـــدي ورجلـــي لقلـــت مـــن الرضـــا أحســـنت زيـــدي

قال ابن المبارك: فسأل هارون أبا يوسف عنها فقال: أو كلَّما قالت جارية تصدق! قال ابن المبارك: ولا أدري ممن أعجب: من أمير المؤمنين حيث رغب عنها، أو منها حيث رغبت عن أمير المؤمنين، أو من أمر أبي يوسف حيث أمر بالهجوم عليها[1].

٩- حلائل أبنائكم

اشترى عبد الملك بن مروان جارية فلما خلا بها قالت: يا أمير المؤمنين ما منزلة أرفع منزلة من منزلتي هذه ولكن القيامة لها خطر، إن ابنك فلاناً كان قد اشتراني وخلا بي ليلة فلا يحل لك مسي، فاستحسن قولها وولاها أمر داره[2].

١٠- كلمة بين الحلال والحرام

حكي عن السلطان ملك شاه السلجوقي أنه حضرت بين يديه مغنية، فأعجب بها، واستطاب غناءها. فهمَّ بها. فقالت: إني أغار على هذا الوجه المليح الجميل أن يعذب بالنار، وإن الحلال أيسر وبينه وبين الحرام كلمة. فقال: صدقت. واستدعى القاضي وتزوجها، وأقامت في عصمته حتى مات – رحمه الله –[3].

(١) ذم الهوى ١/ ٢٧٦، مختصر تاريخ دمشق ١/ ٣٦١٩، ديوان الصبابة ١/ ٨٩ ذكر من اتصف بالعفاف وأحسن الأوصاف الباب الثلاثون.

(٢) محاضرات الأدباء ١/ ٤٢٤ ما جاء في العفة.

(٣) ديوان الصبابة ١/ ٩٠ الباب الثلاثون باب ذكر من اتصف بالعفاف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب